الجزء الأول

أشهر ملعونات التاريخ .. والضحايا بالمئات

إعداد: هايدى عادل

النساء من أرق المخلوقات الموجودات علي الأرض، لذلك يطلق عليهن «الجنس اللطيف» أو «الجنس الناعم»، ولكن ليست كل النساء كذلك، فمنهن من تمتلك شخصية شرسة وقاتلة خلف وجهها الملائكي لتتحول إلي أشرس القتلة، لدرجة أننا قد نندهش عندما نعلم كمية الجرائم الفظيعة التي قد يتمكن ذلك النوع من النساء من ارتكابها.

ومن أشهر النساء اللواتي لعنهن التاريخ لجرائمهن البشعة والتي لا تصدق أولئك:

١- كريستيان جيلبرت (ملاك الموت):

عندما تنظر إليها تجد فتاه ذات وجه ملائكي وشخصية مرحة وجميلة، ولكن للأسف خلف ذلك تجد شخصية غير سوية، فقد كانت تعمل ممرضة أي من المفترض أن تكون ملاك الرحمة الذي يخفف الآلام للمرضي ولكنها علي العكس أصبحت ملاك الموت بالنسبة لهم، فقد اشتهر عنبرها بكثرة الوفيات به حتى أن ذلك أصبح موضوع مزاح بينها وبين زميلاتها غير مدركين أنها هي من تتسبب في موتهم بالفعل.

وهناك أقاويل كثيرة حول سبب ما فعلته منها حبها للظهور بكثرة علي أنها ممرضة ماهرة لجذب الانتباه لها، فكانت تحقن المرضي بمخدر يتسبب لها بحالات حرجة وكانت تحاول إنقاذ الموقف أمام الجميع، ولكن الكثير من المرضي ماتوا.

وهناك وجهة نظر أخري هو أنها «عديمة الصبر» فلم تكن تتحمل أنين المرضي فتجن من ذلك وتقوم بغرس حقنة في ذراعهم وقتلهم للتمتع بالهدوء، فكانت تتخلص من المرضي الذين يسببون لها قلة النوم والراحة بأن تحقنهم بمادة مخدرة لتوقف نبضات قلبهم وتقتلهم.

كما أنها كانت علي علاقة بضابط أمن في المشفي، فتقوم بقتل المرضي لتراه أثناء فترة عملها، حيث إنها في حالة الوفاة يتم استدعاء ضابط الأمن للمشرحة، وفي حالة أخري قامت بقتل أحد المرضي حتي تستطيع لقاء حبيبها في وقت راحته لأنه سينشغل بعد ذلك، وقد شهد هذا الضابط ضدها في المحكمة حيث اعترفت له علي الأقل بجريمة قتل واحدة ارتكبتها بعدما عرفته.

وصرح المشفي الذي كانت تعمل به أنها مسئولة عن ٨٠ حالة وفاة وأكثر من ٣٠٠ حالة طوارئ طبية، وقد استطاع محاميها إنقاذها من حبل المشنقة وحكمت عليها المحكمة بالسجن مدي الحياة.

٢- الملكة ماري تيودور (Bloody Mary):

هي الملكة ماري الأولي والتي حكمت انجلترا لمدة ٥ سنوات، ولكن تلك المدة لم تكن مثمرة علي الإطلاق وخلالها حاولت الملكة أن تعيد انجلترا إلي الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، فقامت بإحراق ٣٠٠ من شعبها بتهمة الهرطقة.

ولم ينج أحد في طريقها من القتل لإخماد الفتن بوحشية، وبعد استقرار حكمها قامت بمطاردة معتنقي الطوائف غير الكاثوليكية وتعذيبهم وقتلهم، وذكر في التاريخ أنها كانت تجمع كل فترة مجموعة من الفلاحين وتقوم بشنقهم شخصيا حتى لو كانوا غير مذنبين، وكانت تستمتع بصراخهم.

كما أنها كانت تقتل العذارى لتستحم بدمائهم بين الحين والأخر، ومن شدة دمويتها وبشاعتها مازالت أوروبا والعالم أجمع ينشر الأساطير حولها ومن أشهر تلك الروايات أنك إذا وقفت أمام مرآة في الظلام وقلت اسمها أكثر من مرة سيظهر لك وجهها المشوه، وإذا لم تضيء النور وتهرب ستحاول أن تشوه وجهك أو تسحبك من خلال المرآة.

٣- ميرا هندلي:

اشتركت ميرا هندلي مع أيان برادي في خطف وتعذيب وقتل ٣ أطفال أعمارهم أقل من ١٢ عاما واثنين من المراهقين تتراوح أعمارهم بين ١٦ و١٧ عاما، وقد حدث ذلك من عام ١٩٤٢ حتى ٢٠٠٢ فيما عرف «بجرائم مورس»، وتعرض أربعة من الضحايا علي الأقل للاعتداء الجنسي.

وتم العثور علي جثتين أثناء التحقيق معهما وعثرت الشرطة علي الجثة الرابعة عام ١٩٨٧ أي بعد ٢٠ عاما من محاكمة هندلي ولم يتم العثور علي باقي الجثث، وحكم عليها بالسجن مدي الحياة وماتت عن عمر يناهز ٦٠ عاما. وقد أطلقت عليها الصحافة «المرأة الأكثر شرا في بريطانيا».

وقد كانت تلك الجرائم، والتي نشرت في كل الجرائد التي تصدر باللغة الانجليزية حول العالم، نتيجة لما أطلق عليه أستاذ علم التشريح النفسي مالكوم ماكلوتش بـ»سلسلة من الظروف» جمعت بين «امرأة شابة ذات شخصية صعبة تعلمت أن تتقبل و تمارس العنف في سن صغير» و»رجل شخصيته سادية جنسيا ومختل عقليا».

٤- كاترين .. إمبراطورة روسيا القيصرية:

الإمبراطورة كاترين أو كما يطلق عليها «قاتلة المائة حارس» كانت متزوجة من الملك بيتر الثالث، وعندما لم تنجب من الملك نصحها أحدهم بأنها يجب أن تنجب وريثا للعرش، فحملت من أحد حراسها مرة وحملت مرة أخري من حارس أخر، وعاشت حياة مليئة بالفواحش والملذات.

وعندما علم الإمبراطور بذلك ثار وواجهها بأن أولئك ليسوا أبنائه، ولكنها بهدوء شديد أخبرته بأنها ستشرح له علي العشاء ما فعلته لإنقاذ الإمبراطورية، فقامت بوضع السم له في الطعام وأخذت تراقبه وهو يتلوي من الألم وينزف من فمه وأنفه حتى مات وهي تضحك بجنون عليه، ثم أمرت أحد حراسها بدفنه وعندما انتهي قتلته وأمرت حارسا أخر بدفن الحارس المقتول، ثم قتلت الأخر وأصابتها الهيستيريا والجنون حتى قتلت مائة حارس آخر.

٥- كاثرين نايت:

وهي أول امرأة تحصل علي حكم بالسجن مدي الحياة بدون «إطلاق سراح مشروط» بتهمة قتل حبيبها «جون بيرس»، ولكن قبل الاسترسال في الحديث عن تلك الحادثة لنلقي الضوء علي لمحات من حياة تلك المرأة الشرسة.

كاثرين نايت هي أصغر التوائم في عائلتها، وكان والدها دائم الاعتداء علي والدتها بعنف واغتصابها؛ وقد تعرضت كاثرين للاعتداء الجنسي من العديد من أفراد عائلتها حتى وصلت لسن الحادية عشرة.

وكان سلوك كاثرين يثير الحيرة خاصة في المدرسة، فأحيانا كانت ترهب زملائها و تهددهم بأسلحة في المدرسة وتتعدي عليهم بالضرب، وتعرضت للإصابة من أحد المدرسين عندما حاول الدفاع عن نفسه، ولكن عندما تكون في أحسن حالاتها بعيدا عن حالة الغضب نجدها فتاة متميزة وتحصل علي جوائز متميزة لحسن سلوكها، وهي لا تعرف كيفية القراءة والكتابة فقد تركت المدرسة وهي في الخامسة عشرة من عمرها.

وأصبحت كاثرين بعد ذلك معروفة بسلوكها العنيف حتى أن والدتها حذرت زوجها الأول «ديفيد كيليت» منها ولكن ديفيد لم يبالي، وفي ليلة الزفاف حاولت كاثرين خنق زوجها وبررت فعلتها بعد ذلك بأنه استغرق في النوم ثلاث مرات أثناء العلاقة الحميمة.

وكانت حياتهما الزوجية تتصف بالعنف، فأثناء احدي المشاجرات قامت كاثرين بتقطيع وحرق جميع ملابس وأحذية زوجها التي في المنزل وذلك قبل أن تضربه بالمقلاة علي رأسه من الخلف، واستطاع ديفيد الهرب إلي منزل الجيران قبل أن يفقد وعيه، وتم علاجه في وقت لاحق من كسر شديد في الجمجمة، وذلك لأنه عاد إلي البيت في وقت متأخر حيث كان مشاركا في إحدي المسابقات؛ وعندما تركها من أجل امرأة أخري وهرب حاولت كاثرين البحث عنه فأصابت إحدي السيدات في وجهها بالسكين وذلك أثناء إجبارها علي قيادة السيارة للمكان الذي هرب إليه زوجها لقتله هو وعشيقته، وقد استطاعت الشرطة السيطرة عليها وأودعتها في المشفي ولكنها أثبتت حسن سلوكها بعد ذلك وخرجت؛ وقد ذكر بعد ذلك أنها حاولت قتل الميكانيكي الذي أصلح سيارة زوجها لأنه بذلك سمح له بالهرب.
كما أنها دخلت المشفي أكثر من مرة بسبب إهمالها لأطفالها حيث تركت أحدهم علي قضبان القطار وهو قادم ولكن أحد المارة أنقذ الطفل في اللحظة الأخيرة، ولكنها خرجت بعد فترة من الوقت.

وبعد ذلك تركت كاثرين زوجها وتعرفت علي «ديفيد سوندير» وعاش معها في شقتها، وكانت تغار عليه بطريقة مرضية كلما ذهب إلي الخارج حتى أنه ترك المنزل أكثر من مرة فكانت تذهب إليه وتترجاه ليعود للمنزل؛ وقامت في أحد المرات بذبح كلبه بدون سبب فقط لتريه ما سيحدث له لو فكر في خيانتها، وذلك قبل أن تضربه بالمقلاة وتفقده الوعي.
ومن الأمور الغريبة أنها قامت بتزيين بيتها بجلود الحيوانات والمعاطف الجلدية والأحذية في كل مكان حتى السقف وبشكل غريب.

وحدثت خلافات بينها وبين سوندير قامت علي إثرها بضربه بمكواة في وجهه قبل أن تطعنه في معدته بالمقص، ولكنه نجا وهرب وعندما عاد لرؤية ابنته وجد كاثرين قد حررت محضرا ضده بعدم التعرض لها أو لابنتها منه.
ثم تعرفت علي آخر وهو «جون شلينجورث» ولكن العلاقة لم تدم أكثر من ثلاث سنوات، وتركته من أجل «جون بيرس» حيث كانت علي علاقة غرامية به.

تسببت كاثرين لجون بالعديد من المشاكل وتسببت بطرده من العمل حتى أنه تركها، وعندما عادا إلي بعضهما أصبحت مشاجراتهما أكثر حدة حتى أن أصدقاء جون تركوه لعدم قدرتهم علي التعامل مع كاثرين، وبعد العديد من الاعتداءات عليه آخرها كان طعنها له في صدره، تركها جون وطردها خارج المنزل وأخذ ضدها حكم من المحكمة بعدم التعرض له أو لأولاده، ولكنه أخبر زملائه في العمل بأنه إذا لم يعد في اليوم التالي للعمل فستكون كاثرين بالتأكيد قد قتلته، فحذروه من العودة للمنزل ولكنه أخبرهم بأنها ممكن أن تتعرض لأولاده.

وعندما عاد للمنزل لم يجدها ولكنه وجد أنها قد أرسلت أولاده للمبيت عند أصدقائهم فذهب ليجلس عن الجيران حتى الساعة الحادية عشر، وعندما عاد ذهب لغرفته لينام، وجاءت كاثرين للمنزل وجلست تشاهد التلفاز لبعض الوقت، ثم ذهبت للاستحمام، ثم أيقظت جون وقاما بممارسة العلاقة الحميمة ونام جون بعدها.

وفي السادسة صباحا في اليوم التالي وجد الجيران أن سيارة جون مازالت في مكانها كما أرسل العمل أحد الموظفين ليري لماذا تأخر جون، وحاول الجيران والموظف الطرق علي نافذة غرفة النوم ليوقظوا جون لكن دون فائدة، وحينها وجدوا دما علي الشرفة الأمامية للمنزل، فأخبروا الشرطة التي كسرت الباب ووجدت جثة جون وبجانبها كاثرين وهي فاقدة للوعي.

وكانت كاثرين قد طعنته بسكين المطبخ الكبير وهو نائم، وطبقا للأدلة والدماء الموجودة في المنزل فقد حاول جون الهرب بعد طعنه ولكن كاثرين طاردته وأدخلته المنزل حتى مات من كثرة النزيف.

وقد أظهرت عملية التشريح لجثة جون أن كاثرين طعنته أكثر من ٣٧ طعنة من الأمام ومن الخلف، وبعد موته بعدة ساعات قامت كاثرين بسلخه وتعليق جلده علي خطاف تعليق اللحوم، وقامت بقطع رأسه وطبخ أجزاء من جسده، وقدمتها في طبقين مع البطاطس وقطع من اللحم ومكونات أخري ووضعتهما علي الطاولة مع ملحوظة بجانب كل طبق مكتوب عليهما أسماء أبنائه حيث كانت تنوي تقديم ذلك الطعام لأولاد جون، وقد عثرت الشرطة علي وجبة أخري ملقاة في الخلف، ظنوا بأن كاثرين حاولت أكلها ولكنها لم تستطع مما دعم أقوالها بأنها لا تتذكر أي شيء من أحداث الجريمة، وقد وجدت الشرطة رأس جون في حلة بها خضار.
وقد حكم عليها بالسجن مدي الحياة بدون إطلاق سراح مشروط وكتب علي ملفها «لا يفرج عنها أبدا» ، وكان ذلك هو الحكم الأول من نوعه الذي يطبق علي امرأة في التاريخ الأسترالي.

بيل جونيس .. أخطر السفاحات:

هي من أخطر السفاحات التي عرفتها أمريكا، فقد قتلت معظم خطابها وأصدقائها بالإضافة إلي ابنتيها «ميرتل» و«لوسي»، وقد تكون قد قتلت أيضا كلا زوجيها وجميع أطفالها. وكان دافعها هو الحصول علي وثائق التأمين علي الحياة والأموال وكل ما له قيمة؛ وقد قدرت التقارير أنها قتلت ما بين ٢٥ و٤٥ شخصا علي مدار عدة عقود.

تنحدر» بيل جونس» من أسرة نرويجية، ويقال إنها في شبابها تعرضت لحادث بشع حيث حضرت مسابقة رقص وهي حامل، وهناك تعرضت لهجوم من أحد الرجال الذي أخذ يركلها في بطنها حتى أجهضت، وكان الرجل من أسرة ثرية ولم يتم التحقيق معه حول الحادث، وطبقا لمن عرف»جونيس» فإن شخصيتها بعد الحادث تغيرت بطريقة ملحوظة.

في عام ١٨٨٤ تزوجت «جونيس» من «مادس ديتليف» وبعد عامين افتتحا محل حلويات، احترق بعد ذلك في ظروف غامضة وحصلت «جونيس» علي أموال التأمين عليه، وبعد ذلك توفي ٢ من أولادها من التهاب القولون الحاد والذي تتشابه أعراضه مع أعراض التسمم وحصلت «جونيس» علي أموال التأمين علي حياتهما أيضا.

وتوفي زوجها عام ١٩٠٠ وكانت هناك وثيقتين للتأمين علي حياته وقد حصلت عليهما «جونيس»، وكانت هناك شكوك كبيرة بأنها أعطته دواء تسبب في موته بحجة مساعدته حيث كان مريضا بالقلب، وطالبت «جونيس» بأموال التأمين ثاني يوم من الجنازة مما جعل أقارب زوجها يشكون بأن تكون قد قتلته، واشترت «جونيس» بتلك الأموال مزرعة بولاية إنديانا.

تزوجت «جونيس» من «بيتر جونس» الذي عاش معها هو وابنتيه، وتوفت ابنته الصغرى في ظروف غريبة بينما كانت بالمنزل مع «جونيس» وحدها، وكان موتها مأساة لبيتر، وبعد ذلك أصيب بيتر إصابة خطيرة في رأسه بعدما وقعت آلة طحن السجق علي رأسه وأودت بحياته، فقام اخو بيتر بأخذ ابنته الكبرى معه إلي ويسكونسن، وتعتبر تلك الفتاه هي الوحيدة التي نجت من الموت أثناء عيشها مع «جونيس».
وقد حامت شكوك العديد من الناس حول طريقة موت بيتر وأن «جونيس» هي التي قتلته بسبب وثيقة التأمين علي الحياة.

بعد ذلك قامت «جونيس» بإدارة مزرعتها الخاصة، وقامت بتعيين «راي لامفر» في المزرعة، ونشرت إعلان في الجريدة بأنها أرملة شابة وأنها تريد التعرف علي رجل ليساعدها بعد ذلك، وأن يكون مستواه مثلها، بعدها جاء العديد من الرجال ومعهم مبالغ كبيرة من الأموال كمهر لها أو ليصبحوا شركائها في المزرعة، ولكن معظمهم اختفوا بعد زيارتهم لها؛ ولقد رأي العديد من المزارعين أثناء سيرهم في الطريق بجانب المزرعة «جونيس» وهي تحفر في حظيرة الكلاب، هذا غير اختفاء أناس ذهبوا إليها ومعهم أموالا تحصلوا عليها نتيجة بيعهم بعض أملاكهم.

وكان «راي لامفر» واقعا في غرام» جونيس»، فكان يتشاجر مع الرجال الذين يأتون للمزرعة حتى قامت «جونيس» بطرده، وأقنعت الجميع بأنه مجنون.

وفي صباح ٢٨ أبريل ١٩٠٨ احترقت المزرعة، وعندما جاء رجال الإطفاء كانت النيران قد قضت علي كل شيء، وتم إيجاد ٤ جثث في قبو المنزل وفوقهم البيانو، وكانت أحد الجثث لامرأة بالغة لم يتم التعرف عليها فورا لأنها كانت بلا رأس. أما الجثث الثلاث الأخرى فكانت لأبناء «جونيس».

وترددت أقاويل حول خطورة»راي لامفر» علي «جونيس» وعن خوفها من أن يقتلها ويحرق المزرعة،

فقامت الشرطة بالقبض عليه باعتباره المشتبه به الأول في الحادث، وبمواجهته أنكر «راي لامفر» التهمة رغم أن احد الشهود رآه وهو يركض بعيدا عن المزرعة قبل حريقها بدقائق.

وبمعاينة بقايا جثة المرأة المجهولة التي بلا رأس أكد العديد من المقربين لـ«جونيس» بأن تلك الجثة ليست لها علي الإطلاق، كما أعلن الطبيب الشرعي بأن تلك الجثة لامرأة ماتت بسبب تناولها العديد من الحبوب المميتة.

ولكن المفاجأة أنه في مارس ١٩٠٨ تم العثور علي بعض الأسنان في موقع الحادث بها بعض العلامات المميزة مثل سن بورسالين وغيره، وقد أكد عن طريقها طبيب الأسنان الخاص بـ«جونيس» ان تلك أسنانها بالتأكيد وانه قام بعلاج أسنانها بتلك الطريقة عندما كانت تذهب إليه، مما دفع السلطات إلي التأكد من أن الجثة هي جثة «جونيس».

وظهرت مفاجأة أخري عندما علمت الشرطة بأن «جونيس» طلبت كمية كبيرة من الوحل والتراب إلي حظيرة الكلاب لتسوي مستوي الأرض من الحفر الموجودة فيها والتي قالت عنها وقتها بأنها تحتوي علي نفايات، فقامت الشرطة بعمليات حفر في الحظيرة، وتم العثور علي العديد من الجثث لأشخاص كانت مختفية، ومنهم جثث أطفال.

معظم البقايا لم يتم التعرف علي أصحابها بسبب سوء حالتها ولم يتم تحديد عدد الجثث بالضبط ولكن بالتقريب وصل عددهم إلي ١٢ جثة، وتم العثور بعد ذلك علي ٧ جثث لأشخاص مجهولين في قبرين قرب المزرعة.

وفي عام ١٩٠٨ تمت محاكمة «راي لامفر» بتهمة القتل وحرق الممتلكات عمدا، ولكنه أنكر التهم كلها واستند دفاع «راي لامفر» علي أن الأدلة التي تؤكد وفاة «جونيس» ليست قوية وأن الجثة ليست لها، وبعمل بعض الاختبارات وجد صعوبة بقاء الأسنان بتلك الحالة بعد هذا الحريق، وظهر شاهد أكد انه رأي شخصا ما يرمي تلك الأسنان بالقرب من مكان الحادث، فتمت تبرئة «راي لامفر» من تهمة القتل ولكن ثبتت عليه تهمة إحراق الممتلكات عمدا وحكم عليه بالسجن ٢٠ عاما، ومات عام ١٩٠٩ من مرض السل.

ولكن عام ١٩١٠ أعلن القسيس الذي كان مع «لامفر» وقت مماته عن اعتراف خطير له، فقد اعترف «لامفر» بكل الجرائم التي ارتكبتها «جونيس» واقسم أنها مازالت علي قيد الحياة، وانه لم يقتل أحدا ولكنه ساعد «جونيس» في دفن بعض الجثث، وأن «جونيس» كانت تستضيف أشخاصا ثم تضع لهم مخدرا في المشروب، وتكسر رأسهم بالة حادة أو تنتظر حتى يذهبون لغرفهم ثم تخدرهم وهم نائمين بواسطة الكلوروفورم، ثم تجر الضحية إلي الطابق السفلي وتضعها علي المائدة وتشرحها، ثم تأخذ البقايا وتدفنها في حظيرة الكلاب أو في الأرض حول المنزل، وكانت أحيانا تمل سريعا فتقوم بوضع السم مباشرة في المشروب، ثم تقوم بعملية التشريح، وأحيانا كان يصيبها الإرهاق فكانت ترمي البقايا للكلاب ليأكلوها.

كما أن«راي لامفر» قام بحل لغز المرأة التي بلا رأس، فقد أحضرتها جونس معها للعمل لديها كخادمة في المنزل، وذلك قبل يوم من تفكير جونس بأن تلك المرأة هي وسيلة هروبها من ذلك المكان بدون إثارة الشكوك، فقامت بتخدير المرأة ثم قتلتها وقطعت رأسها وألقت الرأس في مستنقع عميق، ثم قامت بتخدير أولادها، وخنقتهم حتى الموت، وجرت الجثث حتى القبو، ثم قامت بتلبيس الجثة احد ملابسها وخلعت «جونيس» أسنانها الزائفة وضعتها بجانب الجثة حتى يعتقد الجميع بأنها هي المرأة التي بلا رأس، ثم قامت بإحراق المنزل وهربت؛ واعترف «راي لامفر» بأنه ساعدها ولكنها خانته وهربت منه.

وهناك بعض الأقاويل التي تؤكد أن «لامفر» اعترف بأنه أوصلها لبلدة صغيرة ورآها وهي تغادر علي متن أحد القطارات.

وقال «لامفر» أن «جونيس» امرأة قوية وغنية فقد قتلت أكثر من ٤٢ رجلا وأخذت أموالا منهم تتراوح ما بين ١٠٠ إلي ٣٢٠٠٠٠ دولارا، وتحصلت علي ٢٥٠٠٠٠، من خلال جرائمها المتعددة، وعلمت السلطات بان «جونيس» سحبت معظم أموالها من البنوك قبل الحريق بوقت قليل مما قوي نظرية هروبها وإرادتها التملص من القانون والشرطة.

تم رؤية «جونيس» في العديد من المدن الأمريكية، وفي عام ١٩٣١ تم الإبلاغ عن وجودها في سان فرانسيسكو كمالكة لمزرعة كبيرة، وقد تلقت الشرطة لأكثر من ٢٠ عاما بلاغات برؤيتها؛ وأصبحت «جونيس» جزءا من الفلكلور الأمريكي للقتلة، وأطلق عليها النسخة الأنثوية من ذي اللحية الزرقاء (والذي كان يقتل جميع زوجاته).

وحتى الآن تم التأكد من الثلاث أطفال الذين وجدوا في الحريق أنهم أولاد «جونيس»، أما الجثة التي بلا رأس فلم يتم التعرف علي هويتها، كما لم يتم التعرف علي مصير «جونيس»، فقد انقسم سكان المنطقة التي كانت تعيش بها إلي نصفين أحدهم يرجح أن «لامفر» قتلها، والأخر يري أنها زيفت موتها.

ولقد دفنت جثة المرأة المجهولة بجوار زوج «جونيس» الأول؛ وفي عام ٢٠٠٧ تم استخراج تلك الجثة بناء علي طلب أخت «جونيس» لإجراء تحاليل DNA لمعرفة هوية القتيلة الحقيقية و مقارنه النتيجة بـ DNA الذي وجد علي أحد خطابات «جونيس»، وللأسف لم يكن هناك ما يكفي من الـ DNA لمقارنته بما لديهم، ولكن استمرت الجهود لإيجاد مصدر للمقارنة حتى وصل الأمر لنبش قبور الضحايا والاتصال بذويهم.

ومازال مصير «جونيس» حتى الآن غير معروف.

تابعي معنا الجزء الثاني .. العدد القادم

أولئك مجرد مجموعة صغيرة من قائمة كبيرة تحتوي علي أسماء نساء أخريات مثل «ريا وسكينه»، و«اما جريس» المجندة الثانية أشهر سفاحات ألمانيا، و«ماري آن» التي قتلت أزواجها وأطفالها بالزرنيخ، و«بريتانيكو» والدة نيرون الذي أحرق روما، والقائمة تطول وتمتلأ بالأسماء علي مر التاريخ.

الجزء الثاني

أشهر ملعونات التاريخ .. والضحايا بالمئات

ريا وسكينة:

تعتبر الأختان «ريا وسكينة» هما أشهر سفاحاتين في مصر، نزحتا من الصعيد إلي بني سويف ثم كفر الزيات، واستقرتا في الأسكندرية في بدايات القرن العشرين، وقد كونتا عصابة بالاشتراك مع زوج سكينة «عبد العال» وزوج ريا «حسب الله سعيد»، واثنان آخران هما «عرابي حسان» و»عبد الرازق يوسف»، لخطف النساء وقتلهن بغرض السرقة، وتم القبض عليهن وإعدامهن في ديسمبر ١٩٢١.

قامت كل من «ريا وسكينة» باصطياد معظم ضحاياهما من سوق «زنقة الستات» القريب من ميدان المنشية، وقد بدأ الاهتمام بالاختفاء الغامض للنساء بعدما تقدمت سيدة تدعي»زينب حسن» ببلاغ عن اختفاء ابنتها «نظلة أبو الليل» البالغة من العمر ٢٥ عاما، وقد ذكرت في البلاغ أنها زارت ابنتها آخر مرة منذ ١٠ أيام وأن شقتها لم ينقص منها شيء.

وأعطت مواصفات الفتاة للشرطة، وأضافت أن ابنتها كانت ترتدي العديد من المشغولات الذهبية، وكانت الأم تخشي أن تكون ابنتها قد قتلت من أجل سرقة ذهبها.

وتم استدعاء بعض الأشخاص من الذين تم رؤيتهم مع»نظلة» في الفترة الأخيرة، وكانت من بينهم «سكينة»، ولم تكن تلك هي المرة الأولي التي يتم استدعاؤها لسؤالها عن حادث اختفاء إحدى السيدات، ولكنها كانت تقنع من أمامها ببراعة بأنها ليست لها أي صلة بالموضوع، ولم يشك بها أحد.

وتعددت البلاغات المقدمة عن اختفاء المزيد من النساء، ووقعت أجهزة الأمن في حيرة كبيرة، وعجزت عن حل هذا اللغز.

فقد جاء البلاغ الثاني عن اختفاء سيدة تدعي «زنوبة»، وكان صاحب البلاغ هو شقيق تلك السيدة، وقال في البلاغ أن أخته قد تقابلت مع «ريا وسكينة» أثناء ذهابها لشراء لوازم البيت، وأنها ذهبت معهما إلي بيتهما ولم تعد بعد ذلك، ولكن لم يشك أحد في «ريا وسكينة»، وتوالت البلاغات، فجاء بلاغ من فتاة عمرها ١٥ عاما باختفاء أمها «زنوبة عليوة» وتعمل بائعة طيور، ومرة أخري يتم ذكر اسم «ريا وسكينة» كآخر شخصيتين تمت رؤية «زنوبة» معهما.

وفي نفس الوقت يتم التقدم ببلاغ آخر من زوج عن اختفاء زوجته»زنوبة علي» منذ ٢٠ يوما، وبتزايد البلاغات وانتشار أخبارها في الأسكندرية، انتشرت موجة من الفزع بين الأهالي، فأعداد النساء المختفية مازالت تتزايد ولم يتم العثور على الجناة حتي ذلك الوقت.

وتم التقدم ببلاغ آخر من زوج باختفاء زوجته «فاطمة عبد ربه»، وقال في البلاغ أن زوجته كانت ترتدي العديد من المشغولات الذهبية القيمة، وبلاغ آخر باختفاء فتاة عمرها ١٣ عاما اسمها «قنوع عبد الموجود»، والعديد من البلاغات الأخري، حتي جاء بلاغ من السيدة»خديجة» باختفاء ابنتها «فردوس»، وذكرت بأن ابنتها كانت ترتدي العديد من المشغولات الذهبية باهظة الثمن، وهذه المرة استدعي اليوزباشي «إبراهيم حمدي» كل من له علاقة بـ»فردوس»، وتتبع رحلة خروجها من البيت، ليظهر اسم «سكينة» مرة أخري كآخر واحدة تمت رؤية «فردوس» معها.

وبدأت الأمور تتكشف علي حقيقتها بعد عثور الشرطة علي جثة امرأة في الطريق العام، وقد وجدوا بقايا عظام وشعر رأس طويل متصل بعظام الجمجمة وجميع أعضاء الجسم منفصلة عن بعضها، وبجوار الجثة تم العثور علي طرحة سوداء وفردة شراب، ولم يتم العثور علي أي أدلة تفيد في التعرف علي شخصية صاحبة الجثة في ذلك الوقت.

وبعدها تلقي قسم الشرطة بلاغ من «أحمد مرسي عبده» يقول فيه أنه أثناء قيامه بالحفر في غرفته للقيام ببعض أعمال السباكة، عثر علي عظام آدمية، فأكمل الحفر وعثر علي بقية الجثة مما دفعه للإبلاغ عنها فورا، وبعمل التحريات اللازمة اكتشفت الشرطة أن البيت الذي عثر فيه علي الجثة كان يستأجره رجل اسمه «محمد أحمد السمني»، وكان يؤجر حجراته من الباطن لحسابه الخاص، وكان من بين أولئك المستأجرين «سكينة علي همام»، وكانت تستأجر الغرفة التي عثر فيها على الجثة.

وقد أكدت التحريات أيضا أنه تم طرد جميع المستأجرين من البيت بحكم قضائي لصالح صاحب البيت الأصلي، وقد حاولت «سكينة» بكل الطرق استئجار غرفتها مرة أخري، ولكن صاحب البيت رفض، حيث ضاق كل الجيران بسلوك «سكينة» السيء والنساء اللواتي يترددن عليها بصحبة بعض الرجال.

بدأت الشرطة في فك اللغز الغامض، ووضعت يدها علي أول الخيط ، فالجثة الأولي لامرأة، والثانية التي تم العثور عليها في غرفة «سكينة» لامرأة أيضا لوجود شعر طويل بعظام الجمجمة، وبدأت أصابع الاتهام تتجه نحو «سكينة»، وبدأت رحلة البحث عن الأدلة.

وبمراقبة «سكينة» وأختها، وجد المخبرون انبعاث رائحة بخور قوية من غرفة «ريا»، مما جعلهم يشكون في الأمر خاصة بعد سؤال «ريا» عن سبب انبعاث تلك الكمية الهائلة من البخور، فارتبكت بشدة وأخبرتهم بأنها تترك غرفتها أحيانا فيأتي رجال ومعهم نساء للغرفة، ويتركونها قبل أن تأتي «ريا» وأحيانا تكون رائحة الغرفة سيئة للغاية، لذلك تقوم بإشعال البخور، ولكن المخبر الذي سألها شك فيها أكثر وبلغ اليوزباشي «إبراهيم حمدي» بشكوكه حول «ريا».

فانتقلت قوة من الشرطة علي الفور لتفتيش بيت ريا، حيث تم العثور علي مفاجأة مدوية، فقد شك الضباط في صندرة موجودة بالغرفة تستخدم للتخزين داخلها والنوم فوقها، فأمر بنزع الصندرة، ووجد شكل البلاط تحتها غريب فأمر بتكسيره، فتصاعدت رائحة عفنة، فاستكملوا الحفر ووجدوا جثة امرأة.

ارتبكت «ريا» وأصابها الهلع، فأمر الضابط باستكمال عملية الحفر، واصطحب «ريا» معه للقسم، ولم يكد يصل حتي تم إبلاغه بالعثور علي جثة ثانية في غرفة «ريا» وبجانبها ختم «حسب الله» الذي

كان يعلقه في رقبته دائما، وواضح أنه سقط منه أثناء دفن الجثة، ولم تستطع «ريا» الإنكار خاصة بعد العثور علي الجثة الثالثة في غرفتها.

وحاولت «ريا» في البداية تلفيق قصة حول الجرائم، حيث قالت أنها كانت تترك الغرفة لرجلين يأتيان أحيانا ومعهما نساء، وربما يكونان هما من ارتكبا تلك الجرائم، وهم «عرابي» و»أحمد الجدر»، وقالت أن عرابي هو صديق شقيقتها، وأن زوجها كان يكره الرجلين بشدة لشكه في أن أحدهما يحبها.

وبدأت النيابة في استدعاء كل من ورد اسمهم في التحقيقات وتم التعرف علي هوية الضحايا التي تم العثور علي جثثهن في بيت «ريا» وهن» فردوس»، «زنوبة بنت عليوة»، وأخري اسمها «أمينة».

وتظهر مفاجأة أخري من العيار الثقيل، حيث كشفت التحريات أن «ريا» كانت تستأجر غرفة أخري في حارة النجاة، فذهبت الشرطة علي الفور لذلك المكان لتجد أن «ريا» كانت تستأجر غرفة و «سكينة» كانت تستأجر غرفة أخري في نفس المكان، ووجدوا صندرة مثل التي كانت في بيت «ريا»، وبالحفر تحتها تم العثور علي جثث أخري.

وبدأت معالم الصورة تتضح بعد العثور علي جثث أخري في الغرف التي كانت تستأجرها «ريا» و»سكينة» في أماكن مختلفة، وتم تفتيش جميع بيوت المتهمين وعثرت الشرطة علي نقود ومشغولات ذهبية وكمبيالات في غرف «عرابي» و»أحمد الجبر»، وتم العثور علي جثة أخري في غرفة «ريا»، لذلك قامت الشرطة بتفتيش كل بيت عرف أن «ريا» أو «سكينة» كانت تستأجره ليتم العثور علي مزيد من الجثث.

وأكملت النيابة التحقيق مع المتهمين جميعا، واستطاعت «سكينة» المراوغة كثيرا، إلا أن «ريا» لم تستطع وانهارت مبكرا، واعترفت أن الرجال هم من كانوا يقومون بعملية القتل.

وكانت أقوي شاهدة إثبات في القضية هي «بديعة» ابنة «ريا»، حيث أخبرت الشرطة بكل شيء حول استدراج أمها وخالتها للنساء وذبحهن أو خنقهن لسرقتهن ثم دفنهن بعد ذلك، وكانت تحاول أن تخفف من دور أمها حتي لو علي حساب خالتها، بينما كانت سكينة تحاول التخفيف من دور زوجها بسبب حبها الشديد له.

وبمواجهة المتهمين أمام النيابة اعترفت «سكينة» بأن اختها «ريا» جاءت إليها في أحد الأيام وصممت أن تأتي «سكينة» معها لبيتها، وأثناء ذهابهما أخذت «ريا» تروي كلاما حول جارتهم «هانم» التي اشترت ذهبا مؤخرا، وبعد وصولهما للبيت فوجئت «سكينة» بجثة»هانم» وكادت تصرخ، فهددوها بالقتل لو فتحت فمها، وأعطوها ثلاثة جنيهات لتصمت، وبعد ذلك أخذت تروي تفاصيل قتل ١٧ فتاة، ولكنها أكدت أن «ريا» هي من ورطتها في المرة الأولي، وبعد ذلك

إيلسي كوش:

«إيلسي كوش» هي زوجة «كارل أوتو كوش» قائد معسكرات الاعتقال النازي «بوخنفالد» من عام ١٩٣٧ إلي عام ١٩٤١، و«مايدانيك» من عام ١٩٤١ حتي ١٩٤٣، وكانت «إيلسي» من أوائل النازيات البارزات التي تمت محاكمتها من قبل الجيش الامريكي.
وقد حازت محاكمتها اهتمام وسائل الإعلام العالمية،

وتم وصف طريقة تعاملها مع السجناء بالسادية.
واتهمت «إيلسي» بقطع أجزاء من جلد مرسوم عليه كالوشم المميز من جسد السجناء القتلي كتذكار.
أطلق عليها السجناء لقب «ساحرة بوخنفالد» «The witch of Buchenwald» بسبب قسوتها المفرطة ومجونها تجاه السجناء، وقد أطلق عليها العديد من الألقاب الأخري مثل «وحش بوخنفالد»، «ملكة بوخنفالد» و» الأرملة الجزارة».
وعلي الرغم من ذلك، فقد عرف عن «إيلسي» أنها كانت طفلة مؤدبة وسعيدة في مدرستها الابتدائية، وفي عام ١٩٣٢ أصبحت عضوة في الحزب النازي، وتعرفت علي «كارل أوتوكوش» في ١٩٣٤، وتزوجته بعد مرور عامين.
وفي عام ١٩٣٦ بدأت في العمل كحارسة وسكرتيرة في معسكر الاعتقال «ساكسنهاوزن» بالقرب من «برلين» وكان خطيبها وقتها قائدا للمعسكر، وتزوجها في نفس العام، وفي عام ١٩٣٧ جاءت «إيلسي» إلي بوخنفالد عندما تم تعيين زوجها كقائد عام للمعسكر.
وفي عام ١٩٤٠ قامت ببناء ساحة رياضية مغلقة، وتكلفت ٢٥٠،٠٠٠ مارك ألماني تم جمع معظمهم من أخذ أموال السجناء، وفي عام ١٩٤١ أصبحت «إيلسي» رئيسة المشرفين علي عدد قليل من الحارسات كانوا يعملون في المعسكر، وقد بقيت «إيلسي كوش» في بوخنفالد حتي ٢٤ اغسطس ١٩٤٣، حتي تم اعتقالها هي وزوجها من قبل قوات الأمن الخاصة (SS) وقائد الشرطة الألمانية، بتهمة تخصيب اليورانيوم بشكل خاص بهما، والاختلاس، وقتل سجناء لمنعهم من الإدلاء بشهادتهم.
وقد تم حبس «إيلسي» حتي عام ١٩٤٤ وتم الإفراج عنها لعدم كفاية الأدلة، ولكن زوجها وجد مذنبا، وتم الحكم عليه بالإعدام من قبل محكمة (SS)، وتم إعدامه في بوخنفالد في أبريل ١٩٤٥.
وذهبت «إيلسي» للعيش مع عائلتها في «لودفيغسبورغ» حيث اعتقلتها السلطات الأمريكية في ٣٠ يونيو ١٩٤٥.
وقد مثلت «إيلسا» مع ٣٠ متهما آخر أمام المحكمة العسكرية الأمريكية في «داخاو» (محكمة الحكم العسكري العامة لمحاكمة مجرمي الحرب) في ١٩٤٧، وتم اتهامها بالاشتراك في خطط إجرامية للمساعدة والتحريض، والاشتراك في حوادث القتل في بوخنفالد، وحكم عليها بالسجن مدي الحياة لـ»انتهاك قوانين الحرب وأعرافها».
وبعد قضائها عامين في السجن قام الحاكم المؤقت للمنطقة العسكرية الألمانية بتقليل مدة الحبس إلي أربع سنوات عام ١٩٤٨ لعدم وجود أدلة قوية علي اختيارها عن قصد المساجين لتعذيبهم بقصد الحصول علي أجزاء من جلدهم الموشوم، ولأنهم لم يجدوا بحوذتها أي أجزاء من الجلود الموشومة.
وعلي الرغم من محاولة التكتم علي هذا الخبر، إلا أنه انتشر في ديسمبر ١٩٤٨، وتحت ضغوط من الرأي العام تمت إعادة القبض عليها ومحاكمتها أمام محكمة ألمانيا الغربية، وكان عدد الشهود في القضية ٢٥٠ شاهدا منهم ٥٠ شاهد نفي، وانهارت «إيلسي»أكثر من مرة أثناء المحاكمة، وشهد أربعة شهود إثبات علي الأقل أنهم رأوا «إيلسي» تختار المساجين الذين لديهم وشم علي أجسامهم، وتم العثور على أولئك السجناء موتي بعد ذلك؛ كما شهدوا بأنهم رأوها وهي تقوم بعمل أباجورة من الجلد البشري الموشوم.
وعلي الرغم من ذلك تم إسقاط التهم عنها لعدم القدرة علي إثبات وجود أباجورة أو أي شيء مصنوع من الجلد البشري بحوذتها.

وبعد ذلك تمت محاكمتها مرة أخري وأدينت بتهمة التحريض على القتل والتحريض على محاولة اغتيال، والتحريض علي ارتكاب جريمة التسبب بأذي جسدي خطير، وفي يناير ١٩٥١ تم الحكم عليها بالسجن مدي الحياة ومصادرة حقوقها المدنية بصورة دائمة.
وقد حاولت التقدم بطلب لإلغاء الحكم ولكن لم يتم قبوله، وحاولت بعد ذلك تقديم العديد من الالتماسات للحصول علي العفو ولكن تم رفضها جميعا، وفي ١ سبتمبر ١٩٦٧ قامت «إيلسي» بشنق نفسها في سجن النساء عن عمر يناهز ٦٠ عاما.

ماري لويز:

ماري لويز أو كما يطلق عليها «السفاحة الفاتنة»، فتاة جميلة جدا تتمتع بقوام ساحر وعينين زرقاوين وشعر بني لامع، لم يصدق أحد أنها متخصصة في الإجرام

إلا بعد أن نشرت الصحف اعترافاتها، فقد تخرجت من الجامعة ودرست الأدب والفلسفة وعلم النفس، وسافرت إلي أماكن كثيرة، ولا تشرب النبيذ إلا إذا اضطرت لذلك، وتجيد الغناء أيضا.
لذلك كان من الصعب تصديق ما فعلته، فقد قامت بقتل زوجها وعشيقته، وعشرة من الأطفال الذكور، وأطلقت الرصاص علي عريس في طريقة للكنيسة، ووضعت السم في كأس عروسين.
وحيرت جرائمها االناس خاصة من عرفها، وقد تم فهم سبب أفعالها من خلال اعترافاتها؛ فقد كانت «ماري» من أسرة متدينة، وبعد وفاة والدها ووالدتها وجدت نفسها فتاة يافعة تعيش وسط مجموعة من الأقارب الرجال الذين تولوا رعايتها، وذات ليلة باردة استيقظت ووجدت نفسها في أحضان أحدهم وكان يكبرها بخمسين عاما وكان قوي البنية ولكنها نجت منه بمعجزة بعد أن شجت رأسه وهربت، وحاولت إحدى السيدات أن تستدرجها لصديق لها ولكن «ماري» رفضت، وتخلصت «ماري» من عقدة طفولتها من خلال الدراسة، وتعرفت بعد ذلك علي «جاك» الذي أعاد لها الثقة في الرجال، وأحبته ثم وافقت علي الزواج منه، وأفهمها «جاك» أنه يحبها ويريد أن ينجب منها ثلاثة أولاد، الأول ضابط كأبيه، والثاني طبيب ناجح، والثالث مزارع.
وجاءت الصدمة فقد وجدت «ماري» فتاة ترتدي ملابسها الداخلية مع زوجها في فراشها، ووجدت زوجها يقول للفتاة نفس الكلام الذي كان يقوله لماري عن رغبته في إنجاب ثلاثة أولاد منها، فقامت «ماري» بإطلاق الرصاص علي زوجها بهدوء، وأمرت الفتاة بالنزول إلي الشارع وهي عارية، وشعرت «ماري» بكره شديد للرجال جميعا والأطفال الذين سيكبرون ليكونوا ضباطا وأطباء ومزارعين، ويخدعون الفتيات في كل مكان، لذلك نزلت «ماري» إلي الشارع وركبت سيارتها الصغيرة وأخذت تتجول بها وقامت بقتل عريس أثناء ذهابه إلي الكنيسة، وكلما رأت طفلا أطلقت عليه النار حتي قتلت ١٠ أطفال كانت تقول لهم قبل أن يموتوا وهي تصرخ بأنهم سيكبرون ويصبحون رجالا ويخدعون الفتيات لذلك ستنقذ النساء من الألم الذي شعرت به، وتم القبض علي «ماري» وإحالتها إلي السجن، ثم تم الحكم عليها بالإعدام شنقا.

إليزابيث باثوري:

تنحدر الكونتيسة «إليزابيث باثوري» من أصول مجرية نبيلة الأصل وتمتلك ثروة هائلة وسلطة قوية، وكان لعائلة «باثوري» تاريخ موحش مظلم، ولكنها في نفس الوقت استخدمت أموالها لتحقيق إنجازات كبيرة حققت فوائدا ربما تغفر لها جزءا من تاريخها الدموي.
وقد تم وصف «إليزابيث» في الوقت الحديث بالسفاحة ذات العدد الأكبر من الضحايا علي مر التاريخ، وعلي الرغم من ذلك فإن عدد الضحايا وإدانتها بالقتل مازال مصدرا للجدال، وقد تم تلقيبها بلقب»الكونتيسة الدموية».
بعد موت زوج «إليزابيث»، تم اتهامها هي وأربعة من أعوانها بتعذيب وقتل المئات من الفتيات، وقد نسبت إليهم إحدى المصادر قتل أكثر من ٦٥٠ ضحية، وعلي الرغم من ذلك تم إدانتهم بقتل ٨٠ ضحية فقط.
«إليزابيث» نفسها لم تتم إدانتها أو محاكمتها، لكن تم حبسها في قلعتها، حيث ظلت في غرفتها حتي ماتت

بعد أربع سنوات، وبعد ذلك تم البحث حول هذه القضية وتم اكتشاف مفاجأة بشعة، حيث قامت الكونتيسة «إليزابيث» بقتل الفتيات العذاري للاستحمام بدمائهن لاعتقادها بأن ذلك سيعيد لها شبابها، وقد تمت مقارنتها بعد ذلك بـ»فلاد الولاشي»، الذي بني الكاتب برام ستوكر علي قصته وجرائمه قصة «الكونت دراكولا».

ولمعرفة الأسباب والظروف التي أدت إلي تكوين شخصية «إليزابيث» الدموية، يجب العودة إلي فترة طفولتها حيث تعرضت «إليزابيث» لحوادث كثيرة ساهمت في تكوين شخصيتها وطباعها، أبرزها عندما كانت في السابعة من العمر، فقد حضرت حفلا ضخما أقامه والدها البارون للتسلية، فكان جميع الحضور مشغولون بالرقص والضحك، وبينما كانت تلعب مع قطتها بالقرب من والدتها وسط الحفل، هجمت عصابة من الغجر علي القصر، ولم تدر «إليزابيث» ما حدث فلم تتذكر سوي صراخ الناس، وحرس القصر وهم ينتشرون في كل مكان، وصوت والدها الغاضب، ولم تعرف ما حدث بعدها لأنهم أدخلوها إلي غرفتها وأغلقوا الباب عليها.

وفي صباح اليوم التالي خرجت إلي فناء القصر لتجد والدها وعمها يقتلون أشخاصا كثيرين من بينهم طفل في عمرها، قام والدها بقتله ببشاعة، ولم تنس «إليزابيث» ما رأته فقد كان أكبر من أن تتحملة طفلة في عمرها، وظلت تبكي طوال اليوم علي هذا الطفل المسكين وعلي الطريقة البشعة التي قتله بها والدها، وكيف استطاع والدها فعل ذلك، ووسط هذة البيئة الوحشية تربت وكبرت «إليزابيث باثوري».

كانت «إليزابيث» فتاة رائعة الجمال، ذات شعر أسود طويل، وعيون عسلية اللون، ولها بشرة قطنية ناعمة، بدأت «إليزابيث» في تلقي الدروس التعليمية وأصبحت تجيد تحدث اللغات: الهنغارية واللاتينية والألمانية بكل طلاقة بالإضافة إلي قدرتها علي الكتابة بكل تلك اللغات، في الوقت الذي لم يستطع أكثر النبلاء القراءة أو الكتابة، حتي أن امير ترانسلفانيا في ذك الوقت كان بالكاد يستطيع القراءة.

وعندما قرر والدها إرسالها لزيارة عمتها «كلارا» في قصرها الفخم في هنغاريا، فرحت «إليزابيث» وأسرعت بالذهاب إلي عمتها لعلها تجد المتعة والتسلية التي تفتقدهما في حياتها مع أبويها، ولكنها وجدت متعة من نوع آخر، فعندما ذهبت إلي عمتها وجدت حفلة مقامة علي شرفها وبها أناس غريبي الأطوار يتحدثون عن السحر وعن الشيطان ويشربون سائلا غريبا اكتشفت «إليزابيث» بعد ذلك أنه دم بشري.

فلم تعلم «إليزابيث» بأن عمتها كانت لها سمعة سيئة جدا، ولها حاشية بارعة في السحر وعلم الخيمياء والتنجيم، ولها تاريخ حافل بتقتيل الخدم لهوسها المفرط بالجلد.

تزوجت «إليزابيث» وهي في الخامسة عشر من الكونت «فرانتز ناديسدي» الذي كان في الخامسة والعشرين من العمر، وكان مشهورا بشجاعته وجرأته في ساحات القتال، وانتقلت للعيش معه في قلعة «كيجا»، وقد أهداها الكونت تلك القلعة النائية علي سفوح الجبل كهدية للزواج.

اتجهت «إليزابيث» بعدها إلي الاهتمام بأمور الشعوذة والسحر التي تعلمتها من خلال زياراتها المتكررة لعمتها البارعة في هذا المجال، بالإضافة إلي مساعدة خادمتها التي اشتهرت بـ»دوركا» والتي كانت ساحرة حقيقية فعلمتها أمور السحر والتنجيم وعاونتها علي القيام بأعمالها السادية وتعذيب الخادمات، وذلك بعد أن أمضت الكونتيسة ٢٥ عاما وحيدة وتشعر بالملل نظرا لغربة زوجها بساحات القتال دائما.

كانت الكونتيسة تتلذذ بجلد السجناء من جهة الوجه بدلا من الظهر ليس لمجرد زيادة الألم بل بسبب شعورها بالملل لدرجة أنها أحيانا كانت تأمر بإحراق السجناء أحياء بكل بساطة، وعندما عاد زوجها إلي القلعة عاد حاملا لقب «فارس هنغاريا الأسود» لدوره الكبير في الحرب ضد الأتراك.

وعندما عاد للقلعة استمر في ممارسة التعذيب السادي علي السجناء لكن هذه المرة أصرت «إليزابيث» علي مرافقته، وقد أبهرتها أساليبه في تعذيب السجناء فقد كان يتفنن في جلد السجناء بالسياط وتقطيع أجسادهم، وكانت الكونتيسة تشعر بإثارة شديدة أثناء ذلك.

وبينما كانت تراقب زوجها وهو يعذب السجناء وجدت مقصا فضي اللون وأحست برغبة شديدة في استعماله فقامت بسحب المقص وطعنت أول سجين أمامها وبدأت في الضحك بشكل هيستيري حتي أمر زوجها بإخراجها وعدم السماح لها بالخروج من غرفتها إلا بإذنه، الغريب في الأمر أن زوجها ابتسم بعدما قتلت السجين وكأنه يبارك عملها الدموي.

واحتفظت الكونتيسة بالمقص الفضي الذي تعلو أطرافه دماء السجين، وكانت تشعر بسعادة كبيرة كلما تخيلت أنها تستخدمه، ولكنها لم تستخدمه مرة أخري، فقد تدهور مزاجها وصحتها وأصبحت عصبية المزاج وسيطر عليها الاكتئاب لأيام.

فقام الكونت باستدعاء ممرضة «إليزابيث» السابقة «هيلينا جو» لتشرف علي تمريضها من جديد، وكانت «هيلينا» امرأة ماكرة وخبيثة للغاية، وترددت أخبار حول قسوة الكونتيسة تجاه خادماتها الشابات، وعدم تحملها لأي خطأ أو عذر منهن، وكانت الخادمات تتعرضن لسوء معاملة وتعذيب، وكانت تقص شعورهن بمقصها الفضي بمساعدة ممرضتها العجوز وخادمتها الشريرة، فهي لا تتحمل رؤيتهن جميلات بينما تتقدم هي في العمر.

ومع تقدم الكونتيسة في العمر أصبحت أكثر قسوة مع خادماتها الجميلات حيث وصل بها الأمر إلي إحراق أصابع إحداهن، ووضع قطع من النقود الساخنة علي جسد أخري لتكوي جسدها؛ وانتشرت أخبار تعذيب الكونتيسة للخادمات من القصر إلي القرية، مما دفعهم إلي إرسال القس «أندراس» ليهدي الكونتيسة وزوجها إلي حسن معاملة الخدم والسجناء، مما أثار غضب الكونتيسة بشده لجرأة القرويين الفقراء علي إرسال القس ليتحدث معهما ويرشدهما، فهذا تدخل في سياسة الكونت واتهام شنيع لزوجته المريضة، لكن الكونت آثر إنهاء الموضوع وتهدئة زوجته خوفا من انتقال المزيد من الأقاويل إلي القري المجاورة، وفي هذا خطر علي مركزه ولقبه «فارس هنغاريا الأسود»، وبعد انصراف القس طلب الكونت من زوجته تخفيف نشاطها تجاه الخدم لأنه هو الوحيد الذي من حقه معاقبتهم وإذا خالفت أوامره سيكون تصرفه معها عسيرا.

عاد الكونت إلي حملاته العسكرية وسيغيب لفترة، لكن الكونتيسة علمت أن زوجها كذب عليها وأنه ذهب إلي عشيقته مما جعلها تشعر بالحنق والغضب الشديد وأرسلت إلي عمتها لتأتي إليها ولكن عمتها أرسلت لها خطابا بأن تأتي الكونتيسة إليها في قصرها، وعندما حضرت الكونتيسة بدأت عمتها في تعريفها علي أشخاص غريبين ودعتهم إلي القلعة حيث تتعلم كيفية الاتحاد بالشيطان لأن هذ الطريق سيقودها إلي الأبدية، لتملك القوة والجمال الدائم مهما كلفها الأمر.

وبمرور يوم بعد يوم كانت «إليزابيث» تزداد غضبا مع زيادة تجاعيد وجهها، فالمراهم والزيوت التي تصنعها لها حاشيتها من السحرة لم تعد تنفع، ولم يستطيعوا الوصول إلي أكسير الجمال الأبدي، ولم يكن الكونت يعلم بأن أولئك هم مجموعة من السحرة، بل أوهمته الكونتيسة بانهم مجموعة من الخدم يتمتعون ببعض المهارات ليس إلا.

وعندما كان يأتي الكونت إلي القلعة كانت الكونتيسة تضطر لأن تتوقف عن ممارسة أعمال الشعوذة والسحر الأسود، وكان هذا يغضبها بشدة، وفي إحدى المرات سمعت الكونتيسة حديثا دار بين خادمتين حول استياء الكونتيسة من شكلها وتجاعيد وجهها، فغضبت الكونتيسة بشدة وخرجت من غرفتها ومعها الممرضة وقامت بالصراخ وهي تطعن الفتاتين بجنون، ثم قامت بقطع لسانهما بمقصها الفضي وقامت بتشويه وجههن وإزالة ما يمكن من الجلد.

ثم قامت بعمل حفل شيطاني في القلعة استمر عدة ليال، حضره المشعوذون وعبدة الشيطان وقاموا بتقديم القرابين والأضاحي التي كانت عبارة عن فتاة صغيرة قامت بتقطيعها حتي يرضي الشيطان عنها ويمنحها الجمال الدائم.

ومات الكونت، وبموته أدركت إليزابيث أنها بلغت المرحلة الحرجة من العمر، الثالثة والأربعين من العمر، وأنها فقدت جمالها الماضي، ففكرت في العودة لعلومها الشيطانية.

وبعد تقسيم ميراث الكونت، استطاعت إليزابيث الحصول علي القلعة لكن بعد أن تنازلت عن ابنها ليعيش مع عائلة والده تنفيذا لوصية والده، وأعربت الكونتيسة بأنه لا نية عندها لإغلاق سجن القلعة، بل سيستمر كما كان للمخالفين للقوانين السائدة، فأدرك الجميع أن الكونتيسة تهدف إلي فرض سيطرتها علي أهالي القرية، ولم يستطع أحد التكلم لكون الكونتيسة وريثة عرش بولندا في حالة تنحي ابن عمها «إستيفن بتثوري الثاني».

أولئك مجرد مجموعة صغيرة من قائمة كبيرة تحتوي على أسماء نساء أخريات مثل «ريا وسكينه»، و«اراما جريس» المجندة النازية الشهيرة سفاحات ألمانيا، و«ماري آن» التي قتلت أزواجها وأطفالها بالزرنيخ، و«بريتانيكو» والدة نيرون الذي أحرق روما، والقائمة تطول وتمتلئ بالأسماء على مر التاريخ.

وانطلقت الكونتيسة برفقة عمتها لتعذيب السجناء بكل وحشية وعندما كانت تشعر بالملل كانت تأمر الحراس بإحراقهم بكل بساطة، وأصبحت مهووسة بمعاقبة الخادمات الشابات لأتفه الأسباب، كما أنها ضاقت من تدخل عمتها في طريقة إدارتها للأمور لكنها لم تظهر ذلك لها.

وحاولت الكونتيسة ايجاد حل لتجاعيد وجهها وجمالها الذي يخبو فأصبحت مثل فأر التجارب للمشعوذين في حاشيتها، وازداد الأمر سوءا، فقد أصبحت بشرتها شاحبة جدا ومليئة بالتجاعيد بسبب إفراطها في استخدام ما يقدمه لها سحرتها وكيميائييها دون إدراك للعواقب، وأخبرتها «دوركا» بأن الأرواح الشريرة ستهديها إلي الأكسير المطلوب وكل ما عليها هو إقامة الطقوس اللازمة في الوقت المناسب.

أقامت الكونتيسة حفلا شيطانيا في قلعتها استمر عدة ليال، وحدثت فيه الكثير من الأمور الفاسدة حيث قدمت القرابين والأضاحي الحية في سبيل الحصول علي رضا الشيطان، فانتزعت الأحشاء وسلخت الجلود، وانتهي الحفل بكلام باللغة اللاتينية والتضحية بإحدى خادمات الكونتيسة التي لم تعترض علي ذلك رغم صراخ وتوسلات الخادمة ولكن بلا فائدة.

واستمرت الكونتيسة في إقامة هذا النوع من الحفلات، وعندما ضاقت من عمتها وشعرت بأنها ليست في حاجة لها، قامت بارسالها بعيدا لينتهي فصلها مع الكونتيسة.

في إحدى المرات قامت إحدى الخادمات بشد شعر الكونتيسة عن طريق الخطأ وهي تضع اللمسات الأخيرة علي رأسها، وكانت «إليزابيث» تعاني من تدهور مزاجها فقامت بضرب الخادمة بمقصها الفضي علي وجهها ليشقه ويسيل دم الفتاة علي يد الكونتيسة؛ وبينما كانت تنظف يدها من الدماء أحست بأن جلدها أصبح أنعم وأكثر نضارة وشباب من ذي قبل، فاستشارت حاشيتها لمعرفة رأيهم ووافقوها خوفا من إغضابها، واختلقوا قصة عن امرأة من طبقة النبلاء كانت تعيش في مكان بعيد وكان لدم العذراوات الشابات تأثيرا مماثلا لما حدث معها وظلت شابة حتي آخر العمر، مما زاد من اقتناع الكونتيسة بالموضوع، وبدأت معها أشرس جرائم الكونتيسة الدموية.

قامت الكونتيسة بجر الفتاة التي سال دمها علي يدها وعلقتها بسلاسل فوق حوض استحمام الكونتيسة، وقامت بذبحا ليسيل دمها في حوض الاستحمام لتستحم الكونتيسة به، وظنت الكونتيسة بأن دم شابة واحدة سيفي بالغرض إلا أن «دوركا» كان لها رأي آخر.

فقد أصبحت مهمة إعداد حمام الدم من نصيب «دوركا» فكانت تختار من تشاء من خادمات القصر وتقوم بتعليق الفتاة فوق حوض استحمام الكونتيسة وهي عارية بعد تقطيع جسدها بأمواس حادة لتسيل دماؤها بغزارة، ولكن «دوركا» أدركت أن دماء شابة واحدة لن يكفي لمليء الحوض بالكامل.

وبدأت مجزرة القلعة حيث بدأت الكونتيسة بتقتيل جميع خادماتها للحصول علي دماء كافية، وكانت تحتفظ بالدماء الأفضل من أجل شرابها، فقد أخبرها سحرتها بأنها يجب أن تفعل ذلك لكي تبقي شابة جميلة للأبد.

وكانت الكونتيسة تشعر بأنها أكثر جمالا بعد قضائها ساعات في حوض استحمامها الدموي، ولهذا استمرت في تقتيل الخادمات وإخفاء الجثث في صناديق خشبية بسجن القلعة.

امتلأ المكان بجثث الفتيات وتضاءل عدد الخادمات لديها، فبدأت بعرض أسعار مغرية للعمل لديها في محاولة منها لإيقاع أكبر عدد ممكن من الفتيات؛ وكونت طاقم تعذيب وحشي ليعاونها في إعداد المشروب وحمامها الدموي، ولإشباع ميولها السادية.

وأصبح هوس الكونتيسة بالحصول علي الدماء أكثر جنونا، فلم تعد تستخدمهن لحماماتها فقط، وإنما لشعورها بالهوس المجنون بتعذيب الفتيات، فأدخلت أدوات تعذيب مؤلمة ابتداءا من الشفرات الحادة، والسكاكين الغليظة، والدبابيس المسممة، والأقفاص الضيقة، والخوازيق، وانتهاءا بالعذراء الحديدية.

كانت العذراء الحديدية عبارة عن دمية بحجم الإنسان العادي مصنوعة من الصلب ومرصعة بالجواهر، ويمكن التحكم بها بطريقة ميكانيكية، فكانت الكونتيسة تأمر إحدى الفتيات بترتيب الجواهر ثم تفاجأ الفتاة بتحرك يدي الدمية وضمها بشدة لتخرج مسامير كبيرة من صدر الدمية وتنغرس داخل جسد الفتاة بقوة إلي أن تموت وسط ضحكات الكونتيسة.

وكثرت مذابح الكونتيسة للفتيات وتعذيبهن وإذلالهن بشتي الطرق حتي وصل جنونها إلي تقديم لحومهن إلي حراس القصر علي أساس أنها لحم حيواني، وأصبح المشروب المفضل لها هو دم الأطفال حيث كانت تحتفظ به في قارورة ذهبية لتقدمه لها الممرضة قبل أن تنام مرتاحة البال علي شبابها المنتظر.

وفي هذه الأثناء ومع الاختفاء المبالغ فيه للفتيات، وأفعال الكونتيسة التي أصبحت أكثر تهورا، انتشرت أخبار حول قلعتها المرعبة حتي وصلت الأخبار إلي إمبراطور هنغاريا الذي أمر رئيس الحكومة وهو ابن عم الكونتيسة بتفتيش القلعة.

وفي ٣٠ ديسمبر ١٦١٠ دخلت مجموعة من الجنود بقيادة رئيس الحكومة إلي القلعة ليلا، فتفاجأوا بما رأوه من مناظر بشعة لفتيات معلقات منهن الميتة ومنهن من لا زالت علي قيد الحياة، ووجدوا فتيات ينتظرن مصيرهن الأسود، كما وجدوا بقايا لأكثر من ٥٠ فتاة أخرى.

وأثناء المحاكمة عام ١٦١١ اكتشف المحققون أسماء ٦٥٠ ضحية في دفتر ملاحظات الكونتيسة، وكانت تلك المحاكمة من أكبر المحاكمات في تاريخ هنغاريا، وتم الحكم علي جميع معاوني الكونتيسة بالإعدام، ولكن الكونتيسة بسبب موقعها الاجتماعي لم تحاكم فقد أمر الإمبراطور بحبسها في قلعتها بعد أن أغلقوا جميع النوافذ والأبواب عليها بالحجارة.

وبعد أربع سنوات وجد الحراس الكونتيسة ملقاة علي وجهها في غرفة نومها وقد فارقت الحياة عن عمر يناهز الرابعة والخمسين.